القصص

أساة من اسخيلوس

٣ ـ أجاممنـــون

للأستاذ دريني خشبه

تتمـــــة

— « باريس ! لقد خرّبت زيجة بيتك ... أجل ... أنت وأختك ... أوه يانهر سكمندر[1] المصطخب ! لقد جرع أبي منك جرعة ، وعلى ضفافك شببت وترعرعت ، فيا لشقوتي ! أما الآن ... فان نيوءاتي تتواثب على شطئان كوكيتوس وأشيرون[2] ... »

— « أوضحى بحق أربابك عليك أيتها الفتاة ! إن آلامك تذب فى صدرى فتخز أشواكها حبة قلبي ... »

— « طروادة !! أهكذا سقطت إلى الأبد !! أهكذا تندلع النيران فى أبراجك الشواهق ! أهكذا ينبطح أبي الملك الشيخ مضرجاً بدمه ؟ ... ويلاه ... بعد لحظات أغرق فى لجة من دمى مثلك يا أبي ... »

— « عود إلى النغمة الملفوزة السالفة !! ما أحسب إلا أن إلهها قاسيا يرديك بعنف فى هذه الحمأة المسنونة !! »

— « نغمة ملفوزة !! لا ! لن ألغز يارفاق ! سأجلو لكم السر الهائل الذى خبأته الجريمة السنين الطوال فى هذا القصر ! هنا ! تآمر الآثمون فى الظلام ... وكان الظمأ إلى الدم يشد عزائمهم جميعاً ! كانوا يدلفون الى كهفهم فيتفنون آلامهم ويستنزلون اللعنة على ... خصمهم ... وهو منهم ، وهم مع ذاك منه ... أخوهم ... وهم إخوته وأقاربه ... قتلوه ... قتلوه وهو مستسلم للكرى الهادئ ... أليس كذلك ياسادة ؟ أهذه ثرثرة ، أم أنا أهذى ؟ ... »

— « بل أنت قد صورت ما حدث منذ أعوام وأعوام كأنك ترين اليه الآن ... »

— « هذا من فضل أبوللو على ! لقد أمدنى بروح من عنده »

— « وله ؟ هل شففه حبك مرة ؟ »

— « ... ؟ ... ... ؟ ... لا أقدر أن أقول ؟ ... »[1]

— « ما كان ضرك لو تلطفت معه ... ... ! »

— « إيه ... كم كان رقيقاً حينما كان يصارع فؤادي ؟ »

— « وهل فى وسعك أن تمضى حداً لمغامراته ؟ »

— « لقد وعدته ... ولكنه خان ميثاقي ! ... أواه ! واأسفاه ! تعالى ! لقد ثارت الزوبعة من جديد ! لا أطيق أن أكتم الحقيقة ! انظروا يارفاق ! أول الشجو ! ما هذه السمادير التى تغشى سماءكم ؟ يا لأفلاذ الأكباد ! يا للصغار ! إنهم يذبحون بنفس الأيدى التى كان أجدر لو ترفقت بهم وحنت عليهم ! ... يالهول ! ... أبوهم يمد يده البريئة فيأكل شرائح مشوية من أكبادهم وضلوعهم ! ... إن لهذا قد دبر انتقام دموى هائل ... وها هو ذا الأسد ! الأسد الجبان النذل ، الذى تقلب فى سرير صاحب الجلالة — بحر اللذة والدنس ! ... إذ صاحبه نازح يغزو ! ... لا ضير أن يكون أحد أسيرا مرة ، ولكن هذا الفاتح العظيم ! غازى طروادة ! سيد الأسطول اللجب ! إنه لا يدرى السر الهائل الذى تقبره زوجته ... السفاحة ... التى تنحوى كالأفعى ، وتهمهس فى الظلام المنتشر حول نفسها ، وتوسوس إلى شركائها بأفتق الجرائم ... لقد فاقت فى الخب كل مثل فما أدرى بم أشبهها ؟ آه ! إنها أشنع من سكيلا (هذه الهولة الرائعة ، ذات الرؤوس الستة التى تنفث السم ، وتغتال رواد البحار ! ...) الآن ! الآن ينفذ سهم القضاء عن قوس غدرها ... والآن ! ستعترفون أننى ما ألغزت ، وما قلت غير الحق ! ...

(١) النهر القريب من طروادة والذى كاد يغرق فيه أخيل كما مر بك فى الأليادة

(٢) نهران من أنهر الجحيم

(١) أحب أبوللو كاسندرا كما مر بك فى حروب طروادة ووهب لها قوة إدراك الغيب ، فلما بخلت عليه وصدت عنه كتب عليها أن يستهزىء مستمعوها ولا يصدقونها

— « الحق كل الحق يا فتاة ... لقد رويت ما كان من وليمة ذيسيس ، وماتم فيها من نهشه لحم أطفاله وهو لا يدرى ... يا للهول ... ما زال نقشعر كلما روعنا رجع تلك الذكريات ... »

— « إذن سيموت مولاكم أجامنون ... وسترون بأعينكم ! »

— « ياشقية ! لا تهرفى بهذا الهراء ! »

— « ولن أدعو أرباب الخلاص هذه المرة ! »

— « وهل خلاص من الموت ؟ ولكن عسى ألا يكون قريباً ! »

— « أنتم ترجون ، بينا غيركم يذبحون ... أو يكادون ! »

— « وأيما إنسان يا ترى يضطلع بهذا النكر ؟ »

— « أيما إنسان ! إن السهم المراش يطوى مابين المشرقين ؟ »

— « أجل ، ونحن لا نستطيع أن نحدس من يجرؤ على هذه الفعلة ! »

— « أنا أقولها ؛ وحسبى أننى استطعت أن أكلمكم بلسانكم الهيلانى كواحدة منكم ! »

— « وهكذا استطاعت البيثونة [1] من قبل ... ! وكان كلامها ملفوزاً دائماً كذلك ! »

— « يالله الحجر المتقد ! إنها تقدم ! الغوث يا أبوللو ! بالى من تاعسة ! هذه اللبؤة الآدمية ! إنها تضطجع مع الذئب بينا أسدها الهصور نازح عن الديار ... وأنا ! أنا التاعسة قد جئت لأضاعف أحقادها عليه ؟ جئت لأجعل السكين مسنوناً أكثر ! ها هى ذى تحدث ذئبها أنى أنا أيضاً ينبغى أن أذبح جزاءً لى ! ... فيم إذن أبقى على مسوحى وعصاى ! عصاى السحرية ! لأمزق المسوح ولأحطم العصا ! (وتمزق وتحطم) إذهبا إلى الفناء فانى لاحقة بكما ! كونا قائدىّ إليه ! سأنبعكما ، أتمنى حياةً ثانيةً غير حياتى ! ... انظروا انظروا ! إن أبوللو ينزع عنى المسوح بيديه ! آه ! أقبلت لترعانى فى هذه الأجمة الوبيئة ! لتسر قلبك باهانتى ووخزاتى ! بسخرية أهلى من قبل ، ولعنات أعدائى ولعنات وطنى اليوم ! إنهم يزعمونني قديسة شحاذة ! أو كاهنة أفاقية ! يالهول ؟ ماذا خبأت لى أيها القدر ؟ ويّ ! الوَصْم [2] ! السكين المشحوذ ! الضربة اللازبة التى تتم بها التضحية ! ... ياسماء ! إن الذى يأخذ بثأر الأبرياء ما يزال حياً [1] ! ... ويحك يا قاتل أمه أين أنت ؟ خذ بثأر أبيك أيها الجائل فى الآفاق ! ... ويّ ! فيم بكائى ، وهاهو قاهر طروادة وقاتل پريام يلقى جزاءه وفاقاً ! مرحباً ياموت ! أنا لا أهاب الردى

— ولكن ! ... الصلاة ! ... الصلاة يا أربابى ! أضرع اليكم أن يكون جرحى بالغاً مميتاً فلا يعذبنى طويلاً ! لتتدفق من حياتى فلا يعترضها شىء ... »

أيتها الفتاة التى تطمعها الهواجس ، حسبك ، فقد بلغت المدى ! وللآلهة أنت ! كيف تتقدمين إلى حتفك بقدم ثابتة ونفس رابطة ، وأنت تعلمين من الغيب كل شىء ؟ لم لا تفرين ؟

— « وأين تفر من المنايا وقد جاء أجلنا ؟ »

— « كيف ! إن لكل مهلة قيمتها ! »

— « حم القضاء ، قلت لكم يارفاق ! أية مهلة اذن ؟ إن الهرب لا يجدى فتيلا ! »

— « إيه ! رب قتلة شريفة تختم حياة مليئة ! »

— « ويل عليك يا أبى ... وعلى أبنائك التاعسين ! »

(وتتقدم الى باب القصر .. ثم تقف مذعورة)

— « ماذا يفزعك يا فتاة ! ؟

— « ويلاه !

— « ماذا ؟

— « تلك الفرف السود تضج بزفير الجريمة ! القتلى يسبحون فى لجة من الدم ! »

— « إنها دماء القرابين فلا تفزعى ولا تراعى !

— « بيت كأنه قبر ! لولا هذه الدماء ... ! ولولا ذاك الصلول [2] »

— « تزودى من الصلول فقد ورمت أنوفكم من عطور الشام وطيوبه ! »

— « لأدخل اذن ... ولأرو بالدمع حظى العاثر ، وحظ الملك التاعس ... أجامنون ! سئمت تكاليف الحياة يا رفاق لابد أن تقتل امرأة بامرأة ، ورجل برجل ... وتلك أخرى نبوءاتى ... سيقتص لى ، ، ولكل مقتول برىء ! ... »

(وتنطلق داخل القصر)

— ٢٠ —

ويقف الخورس مشدوهين لما ألم بهذه الفتاة ، ويتحدث

(١) أضغى عظيمة قيل إنها خلقت من وحل الطوفان الذى نشأ عن غضب زيوس فى حربه ضد التيتان — وقد قتلها أبوللو

(٢) خشبة الجزار

(١) تقصد أورست بن كليتمنسترا الذى يأتى ليثأر من أمه لأبيه

(٢) الثقن

تهم الى بعض عما حشدت فى حديثها من ألغاز ، وبثته من طلاسم سرار ... وتقطع حديثهم صرخة داوية داخل القصر ! ...

— « آه ! أهكذا أذبح فى قصرى ! ؟ »

وتزداد دهشة الخورس ، وتزداد تقتهم بنبوءات كاسندرا ... لصوت صوت أجاممنون لا غيره ! ... ويهمون أن يدخلوا ... لكنهم يتريثون ... ويعود الملك الى صراخه :

— (آه . آه ! أهكذا وبهذه اليد أضرب حتى أموت ! ؟

ويعود الخورس إلى لفطهم فبعضهم يشير بالدخول ليكونوا هداء مقتل الملك — ويتقاعس بعضهم كأن الأمر لا يهمه ... ... م يشير رئيسهم أن يتريثوا حتى تنكشف جلية الأمر . . .

وانهم ليهمون أن يقتربوا من باب القصر حتى تنفضح الملكة بينما هى تلف جثمان القتيل فى الوشى الذى أعد لاستقبال الملك الظافر ... قاهر طروادة !

ولا تستحى أن تعترف بما اقترفت ، بل تصرح أنها دبرت الأمر وأخذت له أهبته ، وأنها فرحة به مسرورة له ...

— « يا للجرأة أيتها الملكة الآثمة ! ... »

— « آثمة أو غير آثمة ... تمدحون أو تقذعون ... سواء لدى ! إنها جثة ملككم أجاممنون ، هذه الجثة المدرجة فى لفائفها أمامكم ... وأنا مزهوة بأن قتلته ... ! »

— « أيتها المرأة ! أى سوء اختلط بدمك ، وأثم خامر قلبك ، فتقتلين رجلك وأمير المملكة ... أبشرى بلعنة الجماهير وغضب الآلهة ! ... اليوم يفلت من يديك زمام الأمور ... »

— « لعنة الجماهير ، وغضب المملكة ... وزمام الأمور ! مضحك ! سرعان ما تحكمون على ما لا تعلمون ! وأين كنتم يا سادة ؟ وأين كانت جماهيركم وآلهتكم يوم ذبح أجاممنون الوحش طفلته ؟ ... أين كنتم يوم أهوى على عنقها بالسكين كما يهوى على رقبة شاه ! إنجينا ! ابنتى ! قطعة قلبى وكبدى ! ؟ ذبحها أبوها الوحش ! لماذا ؟ لتهدأ العاصفة ، وتسير السفين بأمن الشر مجراها ومرساها ! ! ماذا تقولون إذن ؟ وأين كنتم يا سادة ؟ ولم يفلت من يديه زمام أموركم يومئذ ؟ لم لم يقص عن عرشكم ، وتنزل عليه لعناتكم ، ويحل عليه غضب آلهتكم ؟ آه ! ولكنكم تخلطون المين بالحق ... ودأبكم أن تسارعوا إلى الحكم دون روية ولا تبصرة ! »

— « حماسة وقحة وتبجح أثيم ! ويل لك حين تؤدين الدين من دمك ، إذن تفيق ! »

— « أقسم بأبيه وإريبنيس ، آلهة القوة والمجد ! »

— « تقسمين على فسقك وغرامك الدنىء الدنس ؟ ... »

— « أجل ! على غرامى وحبى ... حبى لهذا البطل المظلوم ليجستوس الذى دبر لى كل شىء وأعانني على كل شىء ... وشاركنى فى هذا الدم ! أنا لأن ملككم قتل ابنتى ، وذهب إلى طراودة ليغازل خريسيز ويرشف الرضاب الحلو من فم بريسيز ، ثم يعود ظافراً وفى ركابه هذه القينة الفاجرة التى جلست بجانبه تسكره بخمر حديثها ... ... وهو ، وإيجستوس (لأن له إخوة ذبحوا وأكل أبوهم من لحومهم وشرائح من أكبادهم ... ثم قتل بعد ذلك ! ... ومن قتله ؟ أخوه ؟ ... يا للهول ! ... هو الذى ذبح الأطفال الأبرياء ! وأطعم أخاه لحومهم وقلوبهم ... !) »

— « المرأة ! واأسفا المرأة ! يا أخت هيلين ! ! كم أرواح مطهرة قاضت لأن أختك أثمت ، وتردت فى حمأة الفسق ! الفاجرة التى فرت مع عاشقها من خدر زوجها ! ثم أنت ؟ أنت أختها ؟ ومن البذرة السيئة نبتت مثلها ؟ »

— « عليكم أنفسكم مالكم ولهيلين ! »

— « ... آه أيها الغراب الناعب ! رنق على جثة زوجك ، وانعق ... هات أغنيتك المنكرة ، ورتلى أنشودة جريمتك فى جناز رجلك ! ... »

— « حاشاى أن أكون صنعت ما صنعت وأنا بعد زوجته أو هو بعد رجلى ! بل صنع هذا وليمة أتريوس ! أتريوس أبو أجاممنون ! الوحش الذى أطعم أخاه لحم أبنائه ! هو الذى ترك لابنه الملك هذا الارث العظيم ... قتل ... فليقتل ! وليقتل من بعده أبناؤه [1] ... فيا للقصاص ! ؟ »

— ٢١ —

وتستطيع الملكة بذلاقتها وقوة برهانها أن تخدع الخورس وأن تقنعهم — إلا قليلاً ! فقد قتل الملك ابنته حين قيل له إن السماء تطالب دماً ، وهذا منتهى الظلم ، وقد قتل أبوه أبناء أخيه وأطعمه لحومهم ... وهو بذلك ورث أبناءه العذاب ... والقتل ... والدم ... !

وما يكاد الخورس يهدأ ثورتهم ... حتى يحضر إيجستوس حبيب الملكة ... وشريكها ... ومدبر الأمر معها ... والذى ذبحت إخوته وأطعمت لحومهم أباه المسكين ! ... يحضر والبشر

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)

(١) وهذا هو محور مأساة اسخيلوس (قد يجر الوزر وبالا عظيما على الشخص وعلى أحفاده وأحفاد أحفاده)